ضمير العظمة والجمع في القرآن- دلالته على التوحيد ودفع الشبه حوله

د. خالد بن ناصر آل حسين*

سلم البحث في ١٤٣٧/٦/١٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٧/٧/١٥هـ

ملخص البحث:

نلجأ في تعاملاتنا أحيانا إلى أن نكتب أو نتخاطب باستعمال ضمير الجمع بدلاً من ضمير الفرد، وهذا الاستعمال تقليد عربي أصيل في صيغة التكلم من صيغ الخطاب، باعتباره الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي والتأليف الأكاديمي، ثم إن التخاطب بمثل ذلك يفيد معنى "المشاركة" و"القرب"، إذ يجعل المتكلم ناطقا باسمه وباسم غيره، ولا غير أقرب إليه من المخاطب، وهذا يشعرنا بأن المخاطب عالم بما يخبره به المتكلم ومشارك له فيه، فيكون ضمير الجمع من هذه الجهة أبلغ في الدلالة على التأدب والتواضع من صيغة المفرد، لاسيما من صاحب شأن، وقد عرف هذا عند العرب قديما وعند سائر الأمم، ولم يحدث أن فهم أحد أن ذلك العظيم أو الملك متعدد الذوات، بل فهمه الناس على ما ورد في سليقتهم ولغاتهم، ولكن طرأ في زماننا فهم مغاير لذلك من البعض، مما يثير شبهات واستدلالات على عقائد فاسدة وأفكار متضاربة ببعض المتشابه الذي قد يشكل على بعض العوام وغير المختصين، وعليه فقد عزمت على الكتابة في مناقشة هذه الشبهة.

Abstract:

Resort in our dealings sometimes to the expression of speech and writing using the plural pronoun instead of individual conscience, and this friendly tradition of authentic Arabic to speak of the letter formats formula, as the use of the conventional scientific article and academic writing, then the conversational so it benefits the meaning of "participation" and "proximity", as it makes speaking in his name the speaker and the name of another, nor is closer to him than the addressee, and this makes us feel that the addressee world, including to tell him the speaker and participant him in it, shall be the conscience of the combination of these side informed the significance of politeness and humility of the singular, especially from owner like, this was known to the Arabs in the past and when other nations,

* عضو هيئة تدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، المملكة العربية السعودية.

did not happen that understanding one that that great or multi-King selves, but his understanding of the people on what was in Sliqthm and languages, but there has been in our time to understand different to that of the other, which raises suspicions and inferences on corrupt doctrines and ideas conflicting with some like-which may constitute some of the common folk and non-professionals, and it was resolved to write in the discussion of this suspicion.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣)، أما بعد: ففي تعاملاتنا نحن معاشر البشر قد نكتب أو نتخاطب باستعمال ضمير الجمع بدلاً من ضمير الفرد، ولئن استعملنا ذلك، فلأن هذا الاستعمال تقليد عربي أصيل في صيغة التكلم من صيغ الخطاب، ثم لأنه هو الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي والتأليف الأكاديمي، ثم إن التخاطب بمثل ذلك يفيد معنى "المشاركة" و"القرب"، إذ يجعل المتكلم ناطقا باسمه وباسم غيره، ولا غير أقرب إليه من المخاطب، وهذا يشعرنا بأن المخاطب عالم بما يخبره به المتكلم ومشارك له فيه، فيكون ضمير الجمع، من هذه الجهة، أبلغ في الدلالة عن التأدب والتواضع من صيغة المفرد، لاسيما من صاحب شأن(٤).

وقد عرف هذا عند العرب قديما وفي سائر الأمم عبر التاريخ وأزمانه المختلفة، ولم يحدث أن فهم أحد أن ذلك العظيم أو الملك متعدد الذوات، بل فهمه الناس على ما ورد في سليقتهم ولغاتهم، ولكن طرأ في هذه الأزمان أن تقارب الناس بوسائل الاتصال والإعلام وأصبح التناظر بين المسلمين وغيرهم أحيانا كثيرة على الهواء مباشرة، وقد تثور شبهات واستدلالات على عقائد فاسدة وأفكار متضاربة ببعض المتشابه الذي قد يشكل على بعض العوام وغير المختصين، وهذا ديدن أهل

الزيغ والضلال في طرق الاستدلال إذ يتعلق بالنصوص المتشابهة ويترك النصوص المحكمة الواضحة، كما قال الله –سبحانه وتعالى– في كتابه العظيم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٥].

وقد ثبت عن عائشة ك أنها قالت: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"[٦]، ثم قرأت هذه الآية، فأهل الزيغ يتعلقون بمتشابهه ويتركون المحكم، فمثلا إذا تعلق النصراني بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٧] وقال: نحن ضمير الجمع، وهذا يدل على أن الآلهة ثلاثة، يقول أهل الحق: أنت من أهل الزيغ هذه من النصوص المشتبهة، الواجب عليك أن تردها إلى النصوص الواضحة المحكمة، كقول الله عز وجل: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٨]، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[٩].

عليك أن ترجع هذا النص المشتبه إلى النص المحكم، "نحن" يقولها في لغة العرب يقولها الواحد المعظم لنفسه، وهكذا، وعليه فقد عزمت على الكتابة في مناقشة هذه الشبهة، وقد جاء هذا البحث مكوناً من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وثمانية مطالب، وخاتمة، على النحو التالي:

مقدمة.

المبحث الأول: التوحيد أساس دعوة الأنبياء.

المبحث الثاني: أساس شبهة النصارى في التثليث.

المبحث الثالث: شبهات النصارى في جمع لفظ الإله وأنه يقتضي التعدد.

المطلب الأول: شبهة النصارى في ضمير الجمع من تراثهم.

المطلب الثاني: رد الشبهة.

المطلب الثالث: شبهة النصارى في ضمير الجمع من كتاب الله القرآن الكريم.

المطلب الرابع: مقدمة الجواب على شبهة النصارى في ضمير الجمع.

المطلب الخامس: الآيات الدالة على التوحيد في صيغة المفرد.

المطلب السادس: الآيات الدالة على التوحيد في صيغة الجمع.

المطلب السابع: الآيات الدالة على التوحيد في صيغة الجمع بين صيغة الجمع وصيغة المفرد.

المطلب الثامن: خلاصة: لماذا عبر القرآن بضمير الجمع في كتابه؟.

الخاتمة.

المبحث الأول
التوحيد أساس دعوة الأنبياء

من البدهيات والمسلمات عند الرسل وأتباعهم أن الله خالق الكون ومدبره، وأن الله تعالى ما أرسل الرسل وأنزل الكتب إلا ليحقق عقيدة واحدة وهي عقيدة التوحيد، وقد أكدت الكتب المنزلة على هذه الحقيقة المطلقة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١٠)

ومسألة أن الخالق المعبود –في الدين السماوي الإسلام وما قبله من الرسالات– واحد أحد لا شريك له، مسألة شديدة الأهمية، بالغة الخطورة، وهي الركن الركين والأساس المتين الذي بعث به جميع المرسلين: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾(١١)، وقد علم(١٢) الله أن البشر يميلون إلى تجسيد المعاني والذوات التي لا يحيطون بها علما، وأنهم يعظمون من يحبون، حتى لربما رفعوهم إلى مقامات فوق مقاديرهم؛ فكانت رسالة الرسل الجوهرية هي: «التوحيد» لدعوة الناس إلى عبادة الله، وإلى عدم إشراك أحد معه في العبادة.

والقرآن كله نص واحد، يفسر بعضه بعضا، وما قد يلتبس في موضع، يبينه ويفسره في مواضع أخرى، وقد بين القرآن هذه القضية –قضية التوحيد– أشد وأوضح بيان في جملته كاملاً وفي تفاصيله، فهو في التوحيد وجزائه ومكملاته ومقتضياته، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(١٣)، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(١٤)

المبحث الثاني
أساس شبهة النصارى في التثليث

كان دين الأنبياء ولم يزل دعوة إلى توحيد الخالق جل جلاله، غير أن الأتباع في الديانة النصرانية غيروا عقيدة التوحيد إلى التثليث؛ لأسباب دينية وتاريخية، وأصبحت العقيدة النصرانية عقيدة تثليث تزعم أن الخالق ثلاثة اجتمعوا في واحد شكل إلهاً يعبدونه ويقدسونه(١٥)، وعقيدة التثليث التي لم يجد لها النصارى دليلاً في كتبهم المقدسة زعموا أنها موجودة في القرآن الكريم، واستدل لذلك بعضهم بالنصوص التي تذكر الله بصيغة الجمع أي جمع التعظيم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾(١٦)

واستدل آخرون(١٧) بصيغة البسملة فاعتبروها صيغة مثلثة. حيث زعم بعضهم أن البسملة المسيحية كالآتي: بسم الآب والابن والروح القدس، والبسملة الإسلامية: بسم الله الرحمن الرحيم...وكلا هاتين البسملتين هما صورة طبق الأصل من بعضهما، فالمسيحية تعرف الأقنوم الأول بالأب، بينما الإسلام يعرفه بالله، والمسيحية تعرف الأقنوم الثاني بالابن بينما يصفه الإسلام بالرحمن، وزعم بعضهم أن ما جاء في القرآن من تكفير المثلثة ليس موجهاً لجميع النصارى، وإنما هو لبعض طوائفهم كالأرثوذكس أو للقائلين بأن مريم أحد أطراف الثالوث، أما سواهم من أهل التثليث فلا يكفرون.

ويمكن القول عن هذه الشبه أنها داحضة وتحمل بطلانها في ذاتها، وأن في الاستدلال بها تمحل ظاهر لا يقبله عاقل، فالبسملة فيها تكرار لصفات الواحد، فالله هو الرحمن، وهو الرحيم، وهو الملك، وهو القدوس... وله جل وعلا تسعة وتسعين أسماً، بل وله أسماء أكثر من ذلك، لكنه ذات واحدة.

وأما التثليث النصراني فالآب فيه ليس الابن ولا الروح القدس(١٨)، بل لكل ذاته المستقلة وخصائصه فالابن ابن الآب وليس الأب أباً لنفسه، كما أن الروح القدس مستقل بذاته وخصائصه المكونة لذاته، وقد ربط النصارى بين أطراف الثالوث بالواو

العاطفة التي تقتضي المغايرة، فعطفهم إذاً عطف ذوات وليس عطف صفات.

لو سلمنا جدلاً الاستدلال النصراني بذلك لجاز لنا أن نستدل على ثنائية الإله ببعض الأدلة، ولكان قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾[١٩] دليلاً صحيحاً لمن يقول بثنائية الله، وتكون خواتيم سورة الحشر دليلاً لمن يؤمن بتعدد الآلهة أكثر من التثليث أو التربيع أو التسبيع، وقد ذكر صاحب إظهار الحق حكاية ظريفة في الرد على هذا الزعم بقوله: "(الحكاية الثانية) استدل البعض من الفرقة المسيحية في البلد (دهلي) في إثبات التثليث، بقوله تعالى بسم اللّه الرحمن الرحيم بأنه أخذ فيه ثلاثة أسماء فيدل على التثليث، فأجاب بعض الظرفاء: إنك قصرت. عليك أن تستدل بالقرآن على التسبيع ووجود سبعة آلهة بمبدأ سورة المؤمن وهو هكذا: ﴿حم* تنزيل الكتابِ مِنَ اللّه العزيز العليم* غافرِ الذَّنب وقابِل التوبِ شديدِ العقاب ذي الطَّوْل﴾، بل عليك أن تقول: إنه يثبت وجود سبعة عشراً إلهاً من القرآن بثلاث آيات من آخر سورة الحشر التي ذكر فيها سبعة عشر اسماً من الذات والصفات متوالية، فإذا عرفت ما ذكرت حصل لك الاطلاع على ستة وثلاثين قولاً من أقوال القسيس"[٢٠]

وأما الرد على أهل التثليث بنصوص القرآن فكثير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[٢٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم﴾[٢٣]، فذكر سبحانه في هذه الآية "التثليث والاتحاد"، ونهاهم عنهما وبيَّن أن المسيح إنما هو﴿رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾، وقال: ﴿فآمنوا بالله ورسله﴾، ثم قال: ﴿ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم﴾.." [٢٤]، وفي الآيات رد على اليعقوبية (الأرثوذكسية) القائلين

بالطبيعة الواحدة والملكانية (الكاثوليكية) القائلين بتعدد طبيعة الإله[٢٥].

رد عقلي:

من المتفق عليه عند أهل الأديان أن الله قد بعث جملة كبيرة من الأنبياء قبل المسيح عيسى عليه السلام، وكلهم بعثوا لتصحيح عقائد الناس وانحرافهم عن التوحيد إلى عبادة الله وحده، وأقربهم منه موسى عليه السلام ولم يدع أحد منهم أن الله بعثه بعقيدة التثليث بل كلهم أجمعوا على أن الله واحد لا شريك له.. ولم يعرف الأنبياء قبلاً عقيدة التثليث هذه!!

ولسائل أن يسأل هل الله تعالى وضع هذه الألغاز التي سميت الثالوث والأقنوم[٢٦] ليهدي البشر؟ وهل أخفاها عن نوح وإبراهيم وموسى وبني إسرائيل، ، فإن فعل ذلك، فقد كان سبب ضلالهم وتيههم عن التثليث؛ وقد لبَّسه عليهم وما يقرؤونه في الكتاب من نصوص موحدة، جعلتهم يحاربون عقيدة التثليث ويرفضونها، فهل سيعذرهم الله تعالى ويتجاوز عنهم وعن غيرهم إذ لم تصل عبقريتهم إلى اكتشاف هذه الطلاسم والأحاجي العجيبة؟، ثم إن غاية ما يمكن أن تدل عليه نصوص تعدد الآلهة، التي زعم النصارى من غير تحديد لها بالتثليث أو التربيع أو غيره، فالجمع الوارد في مثل قوله: (إلوهيم، هلم، ننزل، ونبلبل) لو أفاد جمع العدد فإنه يحتمل التربيع والتخميس وغيرهما، ولا يفيد التثليث بالضرورة.

لكن هذه الألفاظ يراد منها جمع التعظيم لا التكثير والتعدد، وقد اعتادت الأمم التعبير عن عظمائها باستخدام جمع التعظيم، فيقول الواحد: نحن، ورأينا، وأمرنا، ومقصده نفسه، ولا يفهم منه مستمع أنه يتحدث عن ذاته وأقانيمه الأخرى. وسيأتي مزيد بيان لهذه العقيدة إن شاء الله.

شبهة أخرى في التثليث:

استجدت في هذه الأزمنة الاحتجاج على المسلم بأن الله ثلاثة وليس واحداً قولهم أن المسلم إذا حلف يقسم بالله ثلاثة، فالله عند المسلم ثلاثة وليس واحداً وإنما ينكر ذلك مكابرة.

والجواب: أنه من المعلوم أن المسلم حين يكرر البسملة أو أياً من كلامه

ثلاثاً لا يخطر بباله تثليث النصارى، وإنما هو أسلوب في توكيد الكلام أو المعاني، والعرب تعتبر الرقم ثلاثة من الأرقام التي تفيد الكثرة كالسبعة والسبعين خلافاً للاثنين والأربعة والستة، كما أن "الثلاثة" هي أول الجمع المفيد للكثرة، لذا يكثر استخدامه في كلام الناس.

والحقيقة أن المسلم إنما يقول: والله العظيم ثلاثاً، وليس ثلاثة. فتمييز العدد تقديره: "مرة". أي أقسم ثلاث مرات، ومن الممكن أن يقسم مرة أو عشرة، وذلك كله لا علاقة له بالتثليث، ثم إن من يحلف هذه اليمين هم قلة قليلة في العالم الإسلامي، وهو أمر شاذ والشاذ لا حكم له.

المبحث الثالث

شبهات النصارى في جمع لفظ الإله وأنه يقتضي التعدد

المطلب الأول: شبهة النصارى في ضمير الجمع من تراثهم

يثير بعض النصارى شبهة تعدد الإله ويستدلون على ذلك بأن تراثهم ورد فيه اسم (الوهيم) ويعني جمع الإله أو لفظ معنى الإله بصيغة الجمع. كما أنه ورد ذكر تعدد لفظ الإله في رؤيا يوحنا.

المطلب الثاني: رد الشبهة[٢٧]

لابد من القول إن التعلق بالشبه لا يؤدي إلى اعتقاد صحيح أياً كانت هذه الشبه، ومهما شغب أصحابها ودلسوا على الخلق، وإنما يقوم الاعتقاد الحق على الدليل الواضح عقلاً ونقلاً، ويمكننا الرد بما يلي:

أولاً: استخدام صيغة الجمع للتعظيم لا العدد معروف عند اليهود، ويسمونه جمع التعظيم أو الشرف، ويستعملونه في لغتهم؛وبخاصة فيما يتعلق باسم الجلالة (إلوهيم)، بصيغة الجمع هي لسان جمع لجلالة الملك، كما هي العادة في خطاب الملوك وأرباب المناصب. والحقيقة أن إلوهيم يتكلم عن نفسه بلسان الجمع حتى يُفخم نفسه.

وهناك من النصوص التوراتية التي يعتقدها النصارى من تراثهم المقدس ما يدل على أن الله يقول هذا اللفظ لأنبيائه في مقام التعظيم لنفسه وقد ورد في سفر الخروج ما يدل على قولنا–مخاطبا موسى عليه السلام–، وفيه: "فقال الرب لموسى: انظر.

أنا جعلتك إلهاً (إلوهيم) لفرعون"[٢٨]، بلفظ الجمع وألوهيم جمع، ولم يعتقد أحد أن الله متعدد آنذاك أو أن موسى هو إله فرعون.

وفي العهد القديم استعمل الشعب اليهودي كلمتين للإشارة إلى الله، كلمة (إلوهيم) وهي اسم جمع أو تفخيم لكلمة (إيل) التي استعملتها مختلف الشعوب الساميّة للدلالة على الله، وصيغة جمع التعظيم معروفة أيضاً في الكتاب المقدس، ولها صور عديدة، منها قصة المرأة العرافة التي رأت روح صموئيل بعد وفاته، فعبرت عنه باستخدام صيغة الجمع، حيث ورد في العهد القديم: "فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم.. فقالت المرأة لشاول: رأيت آلهة (الوهيم) يصعدون من الأرض، فقال لها: ما هي صورته؟ فقالت: رجل شيخ صاعد، وهو مغطي بجبّة. فعلم شاول أنه صموئيل"[٢٩]،فقد كانت تتحدث عن صموئيل، لقد رأته على هيئة رجل شيخ، وتستخدم مع ذلك صيغة الجمع (آلهة)، فالجمع لا يفيد العدد بالضرورة، بل هو جمع التعظيم.

ثانياً: لما عبد بنو إسرائيل العجل، وهو واحد سمته التوراة آلهة مستخدمة صيغة الجمع في مواضع عدة من قوله: "فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر... صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً، وسجدوا له، وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر"[٣٠]

ويؤكد سفر الخروج شركهم بالله واستعمال الجمع الذي يراد منه الواحد، فيقول: "رجع موسى إلى الرب، وقال: آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة، وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب"[٣١]، ومثله تجد هذا الاستخدام شائعاً في لغة العرب، كما في قول الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٣٢]، فالمقصود هو الله الواحد العظيم.

ثالثاً: ما ذكر في الشبهة بالتكرار ثلاث مرات وما يردده النصارى في قول الملائكة أو حيوانات رؤيا يوحنا وأمثال ذلك، فلا يصلح في الدلالة في شيء. فلو اطرد الاستدلال على هذه الكيفية فسنرى تربيعاً وتخميساً وغير ذلك من التعداد للآلهة، وإن وردت كلمة قدوس على صيغة تثليث مرتين في الكتاب المقدس، فإنها وردت مفردة قريباً من

أربعين مرة، وإنما يراد من التكرار التأكيد فقط، كما في نصوص العهدين القديم والجديد منها قول اليهود: "فصرخوا قائلين: اصلبه، اصلبه"[٣٣] ويشبه ما ورد في سؤال المسيح لبطرس، فقد كرره ثلاث مرات حيث قال: "فبعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء؟، قال له: نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك.. قال له أيضاً ثانية: يا سمعان بن يونا أتحبني؟.. قال له ثالثة: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة: أتحبني"[٣٤]

إذا فلا حجة لما أثاره بعضهم من أن الرب تعالى متعدد الأجزاء أو الأشخاص أو أنه ثالث ثلاثة، أو أنه إن عبر بضمير الجمع دل على أنه جماعة في شخص واحد إذ هذا الأسلوب من التعبير الشائع في صيغة التعظيم أو غيرها من المرادات التي تبين عظمة الإله وتفرده.

المطلب الثالث

شبهة النصارى في ضمير الجمع من كتاب الله القرآن الكريم

بناء على ما ذكرنا آنفاً من أن النصرانية انحرفت من التوحيد إلى التثليث، حاول أرباب الكنيسة ورهبانها الاستدلال لهذا التثليث بشتى أنواع الاستدلال والشبه، ومن ذلك قولهم أن ثلاثة ولا أدل على ذلك من أن القرآن ذكر في مواضع كثيرة الرب تعالى بصيغة الجمع وبضمير الجمع، مثل قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٣٥]، وكقوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[٣٦]وغيرها من الآيات التي تدل على أن الرب متعدد وليس واحداً بحجة التعبير بضمير الجمع.

المطلب الرابع

مقدمة الجواب على شبهة النصارى في ضمير الجمع

من الأمور التي يعرف بها المحق من المبطل النظر إلى الفكرة التي يدعو إليها، وكذلك النظر في طريقة استدلاله على هذه الفكرة، وقد تبين لكل ذي لب أن التثليث محال على إله يتكون من أفراد ثلاثة لكل واحد منهم خصائصه التي لا يشركه غيره فيها، وكذا طريقة الاستدلال التي لا تتسق وتتفق مع القواعد المنطقية والموضوعية، كأن يجتزئ نوعاً من الأدلة التي بها إجمال واحتمال، وهذا هو منهج

أهل الزيغ والانحراف كما قال تعالى في حقهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٣٧]، فلا حجة لهم في كتاب ربنا ولا دليل لهم في العقل السليم على عقيدتهم الفاسدة في تثليث الإله وتعدده، وجواباً على هذه الشبهة حول استدلالهم بآي كتاب ربنا الرحمن فسنفصل الجواب على ذلك من أوجه عدة، وبيان ذلك فيما يلي:

أن الخطاب في القرآن إذا تكلم الله به فإنه على نوعين أو صيغتين[٣٨]:

- صيغة الجمع: يستعمل إذا كان المقام مقام تعظيم وتكثير.
- صيغة الإفراد: ويستعمل الإفراد إذا كان المقام مقام توحيد أو مقام آخر كالعقوبة المنفردة.

وعند الجواب على شبه المبطلين لابد بشيء من التفصيل في سياق الرد، فالقرآن الكريم ورد فيه الكثير من المواضع التي تدل على التوحيد بصيغة الإفراد وصيغة الجمع، وإذا تأملت الآيات الواردة في الحديث عن الله، وجدت لها صيغا عدة:

المطلب الخامس
الآيات الدالة على التوحيد في صيغة المفرد

وسنورد فيها العديد من الآيات، وهي تأتي في مقام الأمر بالعبودية؛ لتأكيد الوحدانية ونفي الشرك، وغير ذلك، كقوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾[٣٩]، وقوله: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق﴾[٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾[٤١]، وقوله تعالى: ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾[٤٢]؛ وقد وردت في مساق لا يحتمل اللبس، ولم يرد أبدا: فاعبدونا، أو: اتقونا، أو: أطيعونا.. بل يرد التوكيد التام على التوحيد وفردانية الإله كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤٤]، وقوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[٤٥]

والآيات في القرآن الكريم الدالة على إثبات التوحيد بصيغة الخطاب المفرد كثيرة جداً وفيها دلالة قاطعة على وحدانية الخالق تعالى وأنه المستحق للعبادة وحده.

المطلب السادس

الآيات الدالة على التوحيد في صيغة الجمع

مما لا شك فيه أن القرآن كله لا يوجد موضع ذكر فيه ضمير التعظيم إلا كان مسبوقاً أو متبوعاً بإفراد بما يفيد وحدانية الله تعالى..حتى يزيل أي شك من شائبة الشرك؛ لأن من نزل عليهم القرآن كانوا يشركون بالله.. وذلك بذكر الألفاظ الإلهية "الرب"أو"الله.. بحسب المقام، أو ما يدل على الإفراد عموماً؛ سواء كان الإفراد أولاً أو العكس أو كان التحول من الغائب–الغيبة– إلى الحاضر–الحضور– أو الغائب إلى المتكلم. وهذا التنوع بأسلوب الالتفات في العربية من أجل طرق أذن السامع والقارئ ولفت انتباههم.

وصيغة الجمع[٤٦] كذلك من صيغ التوحيد الواردة في القرآن الكريم، وجل أفعال الخالق وبيانها للعباد ترد بصيغة التعظيم لاقتضاء المقام ذلك التعظيم والتضخيم للخالق جلا وعلا، والأدلة فيها أكثر من أن تحصر، مثل قوله سبحانه: ﴿سندع الزبانية﴾[٤٧]، وقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٤٨]، وكقوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾[٤٩]، وقوله: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٥٠]، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٥٢].

وهي صيغة التعظيم، وتأتي في مقام تعظيم الله لنفسه أولا، وفي مقام الإلماح إلى جنوده وملائكته الذين يعملون بأمره ما يشاء.

ومن ذلك: الامتنان بالعطاء والفضل، ومثله ما يتضمن الإلماح إلى جنوده الذين كلفهم بحفظ أنبيائه وتنزيل وحيه، أو إهلاك أعدائه. كما ورد آنفاً وكما سيأتي.

ومنه: مقام المنة بالخلق والرزق والإحياء والبعث والتفضيل، وهو كثير جدا، كقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[٥٣]، وكقوله: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾[٥٤]، وكقوله: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[٥٥] وهي إشارة إلى الملائكة الكرام

الكاتبين العاملين بأمره تعالى، ويشبه هذا قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، ولذا عقب بقوله: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[٥٦]، وهو الملك الموكل بالإنسان، ومثله قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾[٥٧] امتن بنعمة الفتح المبين، وضمن الآية الإشارة إلى الملائكة الذين يقاتلون مع نبيه، وعقب بقوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[٥٨]، وفي مقام إهلاك الكافرين يذكر ضمير العظمة، وهي أولى من تسمية ضمير الجمع، وكأن المراد أنهم بكثرتهم وجمعهم لا يعجزونه سبحانه، فهو الواحد العظيم القدير. وأمثلته كثيرة، منها: سورة القمر: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾[٥٩] الآيات.

ومجيء الضميرين معا هو الغالب؛ ولهذا قال هنا: ﴿فدعا ربه﴾، وقال: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾، ولا تكاد تجد موضعاً سيق فيه ضمير العظمة، إلا وقبله أو بعده ضمير الإفراد، أو الاسم الظاهر "الله"، حكمة ربانية لنفي كل شبهة تعلق بنفس، أو يلقيها شيطان، أو يوسوس بها مغرض. ومن أسرار هذا المعنى، أن ضمير العظمة يأتي في كلام الله، ولا يأتي في كلام الأنبياء والصالحين حين يخبرون عن ربهم، كما في قوله تعالى: ﴿إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا﴾[٦٠]، ﴿لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا﴾[٦١]، ومثله: مقام الدعاء والتضرع إذا حكاه الله عن عباده: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾[٦٢]، ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾[٦٣]

وفي مواضع أخرى ترد بالجمع لبيان العظمة والمنة، ومن ذلك قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[٦٤]. لِأَنَّهُ تَعَالَى جَمْعَ الْأَيْدِي لَمَّا أَضَافَهَا إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ، لِيَتَنَاسَبَ الْجَمْعَانِ، فَاللَّفْظَانِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُلْكِ وَالْعَظَمَةِ. وَلَمْ يَقُلْ: (أَيْدِيَّ) مُضَافًا إِلَى ضَمِيرِ الْمُفْرَدِ، وَلَا (يَدَيْنَا) بِتَثْنِيَةِ الْيَدِ مُضَافًا إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ[٦٥]. فَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾، نَظِيرَ قَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٦٦].

وورد في آية القمر: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٦٧] بلفظ الجمع، والجمع هاهنا مضاف إلى ضمير الجمع (أعيننا)، وقد ذكرنا أن هذا الجمع لأجل التعظيم، فالله تعالى يذكر نفسه بلفظ الجمع، كما في قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾[٦٨] والجمع يذكره من يعظم نفسه، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾[٦٩]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٧٠] ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾[٧١]، فقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٧٢] ﴿وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٧٣]، من باب ذكر الجمع لمناسبة ضمير الجمع. إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن الفرد العظيم يعبر للمخاطبين عن نفسه بضمير الجمع.

المطلب السابع
الآيات الدالة على التوحيد في صيغة الجمع بين صيغة الجمع وصيغة المفرد

وردت في القرآن صيغتا الإفراد والجمع، جنبًا إلى جنب في مواضع كثيرة من كتاب ربنا لتؤكد وحدانية الخالق جل جلاله، وقد قدمنا طرفاً منها، ، وفي سورة العلق، في أولها، قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٧٤]، وفي آخرها﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[٧٥]، وهذا المعنى اللغوي لا يحتاج إلى كثير علم وفهم لإدراكه، وقال: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٧٦]، وقد أعقبها بقوله: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾[٧٧]، وفي موضع آخر: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾[٧٨]؛ إشارة إلى المعنى ذاته، ومثل ذلك قوله: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾[٧٩]، وعقب في الموضع ذاته بقوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾[٨٠]، ولم يقل: (صل لنا). ومثله قوله: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[٨١]، فالصلاة والعبادة والنحر له وحده سبحانه، ويشبهه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٨٢]

وجميع ما ورد آنفاً[٨٣]من وجود الضميرين معا في سياق واحد يزيل كل التباس أو توهم أن الله تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وأن يعبر بضمير الجمع لاقتضاء المقام ذلك.

وقد يكشف أحيانا الإفراد بالألوهية والربوبية أو غيرها في بعض سياق الآيات عن حكمة وبلاغة غرضها الحصر ؛فمغفرة الذنوب في سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(٨٤)، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(٨٥)من الله وحده ولا تحتاج لجمع؛ لأنه هو وحده الذي يغفر ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ﴾(٨٦). ولا يمكن لضمائر التعظيم الاستمرار إلى نهاية الآيات بهذا المضمون"التعظيم" في القرآن.

فهذه صيغة الجمع في آخرها صيغة الإفراد، فإذا كانت الآيات الواردة بصيغة الجمع دالة على التثليث، فما الجواب حينئذ على الآيات الواردة بصيغة الإفراد، ما دمتم تستدلون بالقرآن على عقيدتكم ؟.

ومن ذلك ما جاء في سورة النبأ معظم الآيات فيها ضمير التعظيم وقد استمرت إلى سياق محدد: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً﴾ إلى أن جاء في أواخر السورة: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾(٨٧)

أما الاستدلال بما جاء في بعض آيات القرآن من إسناد ضمير الجمع إلى الله، فليس فيه ما يدل على عقيدة التثليث بحال من الأحوال؛ بل في هذا الاستدلال ما يدل على فقر وجهل –لدى القائل بهذا– في فهم كلام العرب عمومًا، وفهم أسلوب القرآن خصوصًا.

وبيان ذلك، أن صيغة إسناد ضمير الجمع إلى الواحد، والواردة في القرآن الكريم في العديد من المواضع، هي صيغة شائعة في كلام العرب، ولا يقصد منها –كما فهم بعضهم جهلاً أو قصدًا– تعدد المتكلم، وإنما يؤتى بها على سبيل التفخيم والتعظيم؛ فإن قالت العرب في كلامها: فعلنا هذا، وأمرنا بذاك، وذهبنا إلى...فإنما مقصودها بكل ما تقدم وأمثاله، التعظيم والتفخيم للمتكلم ليس إلا، والمتأمل في لغة العرب، لا يعجزه الوقوف على مثل هذا الأسلوب في شعرهم ونثرهم، والقرآن جاء على

وفق لغة العرب، وعلى نَسَق سَنَنهم في الكلام.

على أنه لو فرضنا جدلاً، أن صيغة الجمع في القرآن تدل على التعدد، فالسؤال الوارد هنا: من أين للقائلين تقييد التعدد بالثلاثة، وما الدليل الصريح من القرآن على التقييد بالثلاثة ؟!

أما استدلالهم في البسملة على عقيدة التثليث، فهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على جهل منهم بلغة العرب –كما ذكرنا آنفا– وسوء فهم للسانها؛ وبيان ذلك: أن صيغة البسملة فيها تكرار لصفات الواحد، فـ(الله) هو الرحمن، وهو الرحيم، وهو الملك، وهو القدوس...وله جل وعلا تسعة وتسعين اسمًا، بل وله أسماء أكثر من ذلك، لكنه ذات واحدة؛ وثَمَّة فرق واضح بين تعدد الذوات وتعدد الصفات. إن النصارى يقولون: باسم الأب، وباسم الابن، وباسم روح القدس؛ في حين إن المسلمين لا يقولون في تسميتهم: باسم الله، والرحمن، والرحيم؛ إنما يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم. والفرق واضح بين الصيغتين (٨٨).

وأما تعلق النصارى بالألفاظ التي تحدثت عن الله بصيغة الجمع فهو مردود لأن الجمع فيها جمع تعظيم وليس جمع تعداد، وهو معهود في كلام الأمم، كما ورد في القرآن آيات تحدثت عن الله فذكرته بصيغة الإفراد كقوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(٨٩) والآيات كثيرة في هذا الباب.

المطلب الثامن

خلاصة: لماذا عبر القرآن بضمير الجمع في كتابه!

من خلال النصوص الشرعية وبيان ما اعتاده العظماء عند الخطاب بضمير الجمع وأنه من أساليب اللغة العربية وغيرها من اللغات، أن الشخص يعبر عن نفسه بضمير نحن للتعظيم ويذكر نفسه بضمير المتكلم الدال على المفرد كقوله (أنا) وبضمير الغيبة نحو (هو) وهذه الأساليب الثلاثة جاءت في القرآن، والله يخاطب العرب بلسانهم، وأما زعم النصارى أن مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، وما أشبهها تقتضي التثليث فهو زعم باطل، تدل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإجماع أهل العلم والإيمان على بطلانه، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ

إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ﴾[٩٠]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٩١].. إلخ السورة، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا[٩٢].

وقد يعبر القرآن في مخاطبة الواحد العظيم لفظ الجمع[٩٣] قال ابن فارس: "ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري وكان بعض أصحابنا يقول: إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا: فعلى هذه الابتداء خوطبوا في الجواب"[٩٤]. فهل هناك من هو أعظم من مالك الملك وأولى منه بمثل هذا الأسلوب؟

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الأمر: "فالله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهراً أو مضمراً، وتارة بصيغة الجمع كقوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ وأمثال ذلك. ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك"[٩٥]

إذا فلفظ (إنا) و(نحن) وغيرهما من صيغ الجمع قد يتكلم بها الشخص عن جماعته وقد يتكلّم بها الواحد العظيم، كما يفعل بعض الملوك إذا أصدر مرسوما أو قرارا يقول: نحن وقررنا، ونحو ذلك، وليس هو إلا شخص واحد وإنّما عبّر بها للتعظيم، والأحقّ بالتعظيم من كلّ أحد هو الله عزّ وجلّ فإذا قال الله في كتابه إنا ونحن فإنّها للتعظيم وليست لإثبات العدد، وعند جدال مجادل يستدل على الناس بما اشتبه من كتاب ربنا وآياته الكريمة فأشكلت على أحد فيجب أن يردّ تفسيرها إلى الآيات المحكمة، فإذا تمسك النصراني مثلا بقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ ونحوه على تعدد الآلهة، رددنا عليه بالمحكم كقوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾، وقوله: ﴿قل هو الله أحد﴾، ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وعند ذلك يزول اللبس عمن أراد الحقّ، وكلّ صيغ الجمع التي ذكر الله بها نفسه مبنية على ما يستحقه من العظمة ولكثرة أسمائه وصفاته وكثرة جنوده وملائكته..

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه

أجمعين وبعد: فأحمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة وأن أمكنني من كتابة هذا البحث والانتهاء منه، ومما يجدر ذكره أن من أهم ما توصلت إليه من نتائج ما يلي:

١-أن التوحيد هو أساس دعوة كل الأنبياء وكلهم جاؤوا لتبليغه للناس.

٢-أن التثليث لم يعرفه سائر الأنبياء ولم يذكروه ولم يدعو إليه وإنما ابتدعه النصارى بعد المسيح.

٣-أن النصارى يثيرون شبهاً عدة لتأييد عقيدة الثالوث، ومن ذلك الاستدلال على ذلك بخطاب القرآن بضمير الجمع.

٤-أنه لا حجة للنصارى فيما استدلوا به من ضمير الجمع على تعدد الإله، إذ ذلك من أساليب خطاب القرآن وهو معروف عند العرب وغيرهم أن الواحد العظيم يخاطب الغير بصيغة الجمع وصيغة التعظيم.

٥-أن القرآن ورد فيه أساليب عدة في خطاب الله لعباده منها: صيغة ضمير الفرد، وصيغة ضمير الجمع وصغية التعبير عن نفسه بهو.

٦-أن القرآن في جميع آياته المحكمة يدعو إلى توحيده بالعبادة دون شريك، وأما ضمير الجمع فيكون في مقام الخلق أو الإهلاك أو المنة أو ذكر النعم ونحو ذلك.

٧-أن القرآن يذكر ضمير الجمع في المواضع المذكورة آنفاً ويؤكد بعدها –غالباً– التوحيد له تعالى دون شريك.

هوامش البحث:

[١] سورة آل عمران الآية (١٠٢)

[٢] سورة الأحزاب الآية(٧٠)

[٣] سورة الحجرات الآية (١٣)

[٤] من مقاله للدكتور طه عبد الرحمن على الشبكة:
wttp://www.atida.org/forums/showthread.php?t

[٥] سورة آل عمران ٦.

[٦] رواه البخاري ٤٢/٦، رقم: ٤٥٤٧، ومسلم ٥٦/٨، رقم: ٦٩٤٦، وأبو داود في السنن ١٩٨/٤، رقم: ٤٥٩٨

[٧] سورة الحجر ٩

[٨] سورة البقرة ١٦٣

[٩] سورة طه ١٤

[١٠] الأنبياء الآية ٢٥
[١١] الأعراف الآية ٥٩
[١٢] من مقاله للدكتور سلمان العودة بصحيفة عكاظ:
العدد ٣٦٤٦/http://www.okaz.com.sa/new/Issues
[١٣] سورة الإخلاص الآيات ١- ٣
[١٤] انظر الأناجيل الأربعة ورسائل بولس، ص١٠
[١٥] انظر بولس وأثره في النصرانية، ص ١٨
[١٦] سورة الإسراء الآية٥٩
[١٧] انظر مقالة الدكتور منذر السقار (شبهات النصارى حول الإسلام) على الشبكة:
http://www.ebnmaryam.com/shobhat/٤.htm
[١٨]انظر الأناجيل والعقيدة، ص١٠٧
[١٩] سورة الفاتحة الآية ٢
[٢٠] إظهار الحق، ص٩٣
[٢١] سورة المائدة الآية ٧٣
[٢٢] سورة النساء الآية ١٧١
[٢٣] سورة النساء ١٧١
[٢٤] الجواب الصحيح ١٥/٢
[٢٥] انظر اعتقادات المسلمين والمشركين، ص ٨٤، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، ص١٢٧ .
[٢٦] الأقانيم جمع أقنوم، وقد اختلف النصارى حول تعريفها:فقال قوم: هي جواهر.. وقال قوم: هي خواص.. وقال قوم: هي صفات.. وقال قوم: هي أشخاص.. وقال قوم هي تعينات..ثم جعلوا الأقنوم اسمًا للذات والصفة معا..، انظر (المسيح عليه السلام دراسة سلفية، ص ١٣٦)
[٢٧] انظر مقالة د.منذر السقار على الشبكة
https://saaid.net/Doat/mongiz/noor/٣-١٤.htm
[٢٨] سفر الخروج ٧:١
[٢٩] صموئيل الأول ١٢/٢٨-١٤
[٣٠]سفر الخروج ٤-٣٢/٨
[٣١] الخروج ٣١/٣٢
[٣٢] سورة الحِجر الآية ٩
[٣٣] لوقا ٢١/٢٣
[٣٤] يوحنا ١٥/٢١-١٧
[٣٥] سورة الحجر الآية ٩
[٣٦] سورة العلق الآية ١٨

[٣٧] سورة آل عمران الآية ٦

[٣٨] انظر لمسات بيانية لسور القرآن، ص٦، ١٤، ٢٠١، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، ص٦٥٢

[٣٩] سورة طه الآية ١٤

[٤٠] سورة العلق الآية ١-٢

[٤١] سورة الأنبياء الآية ٩٢

[٤٢] سورة المؤمنون الآية ٥٢

[٤٣] سورة الإخلاص الآيات ١-٤

[٤٤] سورة الذاريات الآية ٥٦

[٤٥] سورة الحديد الآية ٧

[٤٦] انظر ملتقى أهل التفسير، مقالة د. سلمان العودة
http://vb.tafsir.net/tafsir٢٦٧٧٧/#.VwlX-PkrKUk

[٤٧] سورة العلق الآية:١٨

[٤٨] سورة الحجر الآية ٩

[٤٩] سورة الأنبياء: الآية ٩٠

[٥٠] سورة التوبة الآية٦٦

[٥١] سورة القدر الآية ١

[٥٢] سورة ق الآية ١٦، ١٧

[٥٣] سورة الأنبياء الآية ٣٠

[٥٤] سورة الأعراف الآية ١١

[٥٥] سورة يس الآية ١٢

[٥٦] سورة ق الآية ١٦-١٨

[٥٧] سورة الفتح الآية ١-٢

[٥٨] سورة الفتح الآية ١-٢

[٥٩] سورة القمر الآيات ٩- ١٢

[٦٠] سورة الكهف الآية ١٤

[٦١] الكهف الآية ٣٨

[٦٢] سورة البقرة الآية ٢٠١

[٦٣] سورة الأعراف الآية ٨٩

[٦٤] سورة يس الآية ٧١

[٦٥] انظر شرح الطحاوية الآية ١٩٢

[٦٦] سورة ص الآية ٧٥

[٦٧] سورة القمر الآية ١٤

[٦٨] سورة الزخرف الآية ٣٢
[٦٩] سورة الزخرف الآية ٣٢
[٧٠] سورة الكوثر الآية ١
[٧١] سورة هود الآية ٣٧
[٧٢] سورة القمر الآية ١٤
[٧٣] سورة هود الآية ٣٧
[٧٤] سورة العلق الآية ١-٣
[٧٥] سورة العلق الآية ١٨
[٧٦] سورة القلم الآية ٤١
[٧٧] سورة الإنسان الآية ٢٣-٢٤
[٧٨] سورة الطور الآية ٤٨
[٧٩] سورة الكوثر الآية ١
[٨٠] سورة الكوثر الآية ٢
[٨١] سورة غافر الآية ٦٠
[٨٢] سورة الذاريات الآيات ٤٧-٥١
[٨٣] انظر ملتقى أهل التفسير، مقالة د. سلمان العودة
http://vb.tafsir.net/tafsir٢٦٧٧٧/#.VwlX-PkrKUk
[٨٤] سورة الفتح الآية ١
[٨٥] سورة الفتح الآية ٢
[٨٦] سورة آل عمران الآية ١٣٥
[٨٧] سورة النبأ الآيات ٨- ١٤، ٣٧،٣٧
[٨٨] انظر المسيحية بين التوحيد والتثليث، ٩٥- ١٠٥، د.عبد المنعم فؤاد، مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه، ص٨٧
[٨٩] سورة طه الآية ١٤
[٩٠] سورة البقرة الآية ١٦٣
[٩١] سورة الإخلاص الآية ١
[٩٢] فتاوى اللجنة الدائمة م٤/١٤٣.
[٩٣] انظر افتراءات المنصرين على القرآن، ص٤٨
[٩٤] الصاحبي في فقه اللغة، ص٣٥٣ .
[٩٥] العقيدة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٥

قائمة بالمصادر والمراجع

- **الجامع الصحيح**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حسب ترقيم

فتح الباري، دار الشعب– القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٧– ١٩٨٧
- **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة . بيروت
-**الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفي ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن**، سعد رستم، إسلام آباد/باكستان: ١٤١٧ هـ. - ١٩٩٧ م.
- **بولس و أثره في النصرانية .** دراسة تحليلية، طارق محمد الشافعي
- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي . بيروت
- **الأناجيل والعقيدة**، د. بهاء النحال، الطبعة: الثانية . ١٩٩٤م
- **إظهار الحق**، رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي (رحمت الله الكيرانوي) ت: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء الرياض، الطبعة: الأولى١٤٠١هـ، ١٩٨٩م
-**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار العاصمة– الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٤ ت، د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر،د. حمدان محمد
- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٢تحقيق: علي سامي النشار
- **افتراءات المنصرين على القرآن** د. علي بن عتيق الحربي، ضمن المكتبة الشاملة
- **المسيح عليه السلام دراسة سلفية**، الشيخ: رفاعي سرور، دار هادف للطباعة والنشر
- **المسيحية بين التوحيد والتثليث**، د.عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، طبعه ١، ٢٠٠٢
- **الكتاب المقدس**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
- **شرح العقيدة الطحاوية**، عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
- **فتاوى اللجنة الدائمة**– المجموعة الأولى،اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء،أحمد عبد الرزاق الدويش
- **الصاحبي في فقه اللغة** أحمد بن فارس تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى الحلبي وشركاه
- **العقيدة التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)**، شيخ الإسلام ابن تيمية دار الفتح الجديد، القاهرة
- **موجهة صريحة بين الإسلام وخصومه**، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة
_ **لمسات بيانية لسور القرآن الكريم** د. فاضل السامرائي، ضمن المكتبة الشاملة .
- **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، الدكتور فاضل صالح السامرائي، أعده للشاملة: الأخ أبو عبد المعز،عضو في ملتقى أهل الحديث، الملف كتاب إلكتروني، ولا يوجد مطبوعا.